السوسيولسانيات التاريخية: أحد نصوص ليبنيتز التحليلية "

محمد علي برادة

إن العلاقة بين اللغة والهوية الثقافية والاجتماعية أصبحت تحظى باهتمام متزايد من طرف الباحثين في علم اللغة، وهكذا أنجزت العديد من الدراسات السوسيولسانيات التاريخية، ووقع اختياري على مقال علمي تاريخي يعود إلى عصر التنوير، وبالضبط إلى سنة ١٦٧٩ للمفكر والفيلسوف والعالم الألماني لايبنيتز الذي وصف فيه بدقة وموضوعية، وضعية اللغة الألمانية في مواجهة هيمنة اللغة الفرنسية في سياقها الاجتماعي. والهدف من التعريف بهذا المقال، يكمن في إيجاد أوجه التشابه والاختلاف ، بين وضعية اللغة الألمانية في ذلك العصر، والوضعية اللغوية في البلدان العربية الراهنة لعلنا نستلهم الدروس والعبر من تجارب شعوب أخرى لإيجاد أفكار قد تقربنا من البدائل الملائمة لوضعيتنا اللغوية التي أقل ما يمكن أن نقول عنها، أنها وضعية أزمة ثقافية.

وقبل الدخول في التفاصيل، أريد أن أشير إلى أني في الحقيقة أجد نفسي في موقع صعب وأنا أتحدث إلى نخبة من الأساتذة المحترمين، وأتساءل ماذا يمكن أن أضيف لمعارفهم الشاسعة من خلال الحديث إليهم في موضوع شائك ومصيري كموضوع اللغة والفكر في سياقهما الاجتماعي. وأريد كذلك أن أوضح إلى أنني لست هنا للحديث عن المشاكل اللغوية للمجتمع العربي والمتمثلة في ضعف تحكمنا في الاستعمال الأمثل والجيد للغتنا العربية، فكلكم بدون شك واعون بتلك المشاكل، وقد عبر العديد من المثقفين العرب عن موقفهم بخصوصها.

ويمكن اعتبار مساهمتي المتواضعة استجابة للتشخيص الذي أعده الأستاذ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري أثناء مداخلته القيمة في ندوة " اللغة العربية والنظريات اللسانية" التي انعقدت بفاس يومي ٢١ و٢٢ نوفمبر ٢٠٠٧، والتي جاءت بعنوان " ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب" والتي قرأتها بإمعان، عبر شبكة الإنترنيت، ومما جاء فيها، أن اللسانيات بالمغرب لم تغط كافة اختصاصات المجال كاللسانيات التاريخية، والسوسيولسانيات.

لقد قرأت لأول مرة، في منتصف عقد التسعينات من القرن الماضي، مقال لايبنيتز في كتاب يتضمن تحليلاته وتأملاته الفلسفية اللغوية، والذي يحمل عنوان : " تأمل لا استباقي حول استعمال وتطوير اللغة الألمانية" بالإضافة إلى اقتراح إنشاء جمعية من أجل الهوية الألمانية. وبعد قراءة عديدة لذلك النص، استخلصت منه بعض المقتطفات التي قمت بترجمتها إلى العربية.

وإذا سمحتم وقبل أن أذكر تلك المقتطفات، سوف أدلي ببعض الملاحظات التمهيدية:

١,١ ملاحظات أولية

الملاحظة الأولى: تتعلق بالسياق العام الثقافي والاجتماعي في ألمانيا حتى القرن السابع عشر. لقد كان ذلك السياق يتميز بمنافسة اللغة اللاتينية التي كانت متداولة منذ العصور الوسطى حتى القرن السابع عشر، في بلاطات الأمراء، تم برزت اللغة الفرنسية منذ ذلك القرن كمنافس آخر للغة الألمانية. حيث كانت الفرنسية يستعملها المثقفون الألمان في مؤلفاتهم وتواصلهم، أما اللغة الألمانية فقد كانت مقتصرة على التداول بين أفراد الفئات الشعبية ، ولم تكن للأدباء الألمان إنتاج أدبي غزير ومتنوع، بل انحصر على كتب قليلة وغير ذي جودة ألفت باللغة اللاتينية، وكذا في تأليف بعض الأناشيد الدينية، على عكس نظرائهم في البلدان الأوروبية الأخرى، أمثال راسين وموليير وجون ميلتون.

الملاحظة الثانية: لم يكن لايبنيتز أول وآخر المدافعين عن اللغة الألمانية وتطوير استعمالها الجيد في مختلف مجالات المعرفة والآداب. ففي عصر البروك ألف مارتن أوبيتز(١٦٢٤) باللغة الألمانية أشعار ضد التحقير من شأن اللغة الأم، وفي نفس السنة ألف كتابا عن فن الشعر الألماني.

الملاحظة الثالثة، هي أن لايبنيتز

استهل نصه، الذي أخذنا منه بعض المقتطفات، بالتساؤلات عن أسباب اختياره التطرق لموضوعه، يقول لايبنيتز :

– البنيات التحتية
– السياسة، كمسألة تحيين الدستور
– استقرار العملة النقدية
– توحيد الأديان
– إصلاح القضاء
– أوضاع التعليم
– النظام التجاري
– تطوير الخدمة العسكرية

• كما تسائل لايبنيتز عن الجهة التي يهمها هذا الموضوع ؟

حيث أوضح بأن خطابه موجه للمتنورين، أصحاب النظرة الثاقبة والبعيدة محبي الفضيلة والمصلحة العامة، المثقفين الاستثنائيين، ذوي الميول التاريخية، المحبين للقراءة الهادئة مثل أدب الرحلات الجغرافية. وأولئك الذين يحبون أوطانهم والمخلصين لقادتهم وبلدهم. وكذلك لمن هم في حاجة إلى قضاء بقية حياتهم في التمتع بأنشطة ثقافية وقراءة كتب مفيدة وممتعة في نفس الوقت، ومحبي الحكمة والمعرفة التاريخية، أي باختصار من لديهم مواهب وذكاء شبه فطري ويميلون إلى الحرية والاستقلال الفكري.

• أما من لا يهمه الموضوع ؟

فيقول:

الناس العاديين، الذين لا هم لهم سوى إشباع بطونهم وليس عقولهم أوحب السموبالوطن إلى أعلى الدرجات وأرقى الصفات. أناس يحبذون ملئ وقتهم في التسلية أوالحديث عن ما يفعله أوما لا يفعله الآخرون. أي أصحاب النميمة وذووالنظرة الضيقة الذين يعيشون يومهم ولا يفكرون في مستقبل بلدهم، أولئك الذين يحقدون على كل من يستقل بفكره ورأيه.

- إن موضوع الكتاب يهم مشروعا قابلا للتطبيق من طرف الجميع، يقول لايبنيتز، والهدف من وراءه هوتعزيز الهوية الألمانية.

حول فلسفة اللغة يقول لايبنيتز:

- إن اللغة هي مرآة الفكر ، فكيفما نفكر تكون لغتنا وكيفما تكون لغتنا نفكر: إذا كانت لغتنا رديئة أوضعيفة فإن تفكيرنا يكون ضعيفا ورديئا، وإذا كان تفكيرنا ضعيفا ورديئا فإن لغتنا تكون كذلك. والتفكير الجيد لا يتم إلا بواسطة اللغة الأم
- إن اللغة من بين العناصر الأساسية لتشكيل الهوية لدى شعب ما، فاللغة هي الرابطة التي تجعل أفراد المجتمع يشعرون بشيء يوحدهم ويؤالفهم ويؤانسهم. فهي تقرب بعضهم من البعض الآخر بالرغم من أنها لا تلمس
- إذا لم تكن اللغة شيئا فطريا فإن الضرورة قد تستدعي اختراعها، من أجل أن نتواصل مع الآخر.
- إن كل من يعتقد بأن مسألة اللغة هي منحصرة في المفردات والمصطلحات فإنه مخطئ، ذلك أن القوة التعبيرية تكمن كذلك في البلاغة والمنطق اللغوي الذي على أساسه يتم تشكيل الجمل ويضفي على الخطاب نوعا من الجمالية التعبيرية والتماسك المنطقي والانسجام التركيبي.

٢,١ مقتطفات من تحليل لايبنيتز للوضعية اللغوية في ألمانيا في ق ١٧

- إن تدهور الأوضاع الاجتماعية العامة في ألمانيا في العصر الوسيط قد تزامن مع تدهور اللغة الألمانية، وإني أخاف أن يصل التدهور الحد الذي نفقد فيه حريتنا
- إن التاريخ يعلمنا أن مصير الأمة مقرون بمصير لغتها، فكلما كانت لغة أمة قوية واستعمالها جيد، كلما كانت الأمة بخير، والدليل على ذلك أن عظمة الحضارات القديمة من بينها الإغريقية والرومانية والعربية كانت مقرونة ببلوغ لغاتها درجة كبيرة من الدقة والاستعمال الجيد لها وبظهور أدباء ومفكرين كبار. ونفس الشيء قد ينطبق على فرنسا، فقوتها تكمن في قوة التعبير اللغوي لشعبها. وهكذا عندما تنصت لحديث يدور بين نساء فرنسيات يتحدثن عن شؤونهن المنزلية تراهن يستعملن أشكالا تعبيرية لغوية بوضوح وإتقان وجدية، وكأنك تستمع لرجالات دولة وجنرالات حربية أودبلوماسيين بارعين. وإذا بحثنا في السر وراء ذلك، نجد أن الشعب الفرنسي أغلبه محب للقراءة، وأن الكتب التي يتم تأليفها تكون مليئة بأفكار جيدة وجديدة، وذات دلالات عميقة. والسبب في ذلك أن المسألة تتعلق بمستوى التربية والثقافة السائدة في المجتمع. وبالمقابل فإننا لا نقدر أن نتمالك أنفسنا من الضحك ونحن نرى أن كتابات شخصيات ألمانية تضم رجالات الدين، ومحامين، ومستشارين، محشوة بفرنسية غير مفهومة

- في ألمانيا، للأسف الشديد، نقدر ما يكتب ويؤلف باللغة اللاتينية أوباللغة الأجنبية ونترك ما يكتب باللغة الأم، فنحن مستلبون ومبهورون للأجنبي، للغته وثقافته وأسلوب تفكيره والسبب في ذلك يعود في جزء كبير منه إلى كون الكتاب الألمان يتطرقون لمواضيع تبقى بعيدة عن اهتمامات عامة الناس ويكتبون بلغة غريبة عنهم... بينما في البلدان الأخرى فإن الاستعمال الجيد للغتهم الأم ساهم في صقل المواهب والفكر. فمؤلفاتنا من الكتب تبقى قليلة ومضمونها لا يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يجعلها تغذي الفكر وتهذب الأذواق وتصقل الأحاسيس وتطور السلوك وتفتح العقول على آفاق أدبية وفكرية وعلمية أرحب وأوسع. فالأفكار الجميلة تأتي عن طريق الكتب المفيدة والممتعة، بالإضافة إلى المشاركة في جمعية يكون هدفها هوخدمة الصالح العام، لكن هذا ليس متوفرا لحد الآن في ألمانيا بصفة عامة وشاملة. إننا لا نكتب سوى كتب عبارة عن نقل أونسخ لكتب أخرى كتبت بلغة أجنبية. وإذا ما تم إنجاز كتب من تأليفنا، فإن محتواها يكون ضعيفا ولا تكون غنية بالإفادة، بل منهم من يكتب ليستفز الآخرين ويغرق القراء بالترهات، وهكذا لا يتركون خيارا لنا سوى أن نكون مثل الشعوب البدائية التي لا تستطيع تقدير وتمييز سماع الموسيقى الجميلة، وكأننا نشبه الرهبان المعتكفين الذين في القرون السابقة لم يكونوا يستطيعون التمييز بين الغث والثمين من الأشياء. وهكذا فإن ذوي الذكاء الثاقب عندنا لا يجدون ما يبحثون عنه في بلدهم، بل يجدونه أثناء أسفارهم في كتب الإيطاليين والفرنسيين، وينفرون من قراءة المؤلفات المكتوبة بالألمانية، لأنهم مستلبون لكل ما ينتج في الخارج ولا يستطيعون حتى أن يتصوروا أن شعبنا الألماني قادر على تطوير ذاته وتطوير لغته
- إن الأزمة تعمقت لدرجة لا يفيد الشعر أوالنثر الأدبي أوتأليف كتب التسلية، في إيجاد حلول جذرية وناجعة لها. وثقافتنا لا ينبغي أن تنحصر في كل ما هوشعري أونثري أوأدبي بصفة عامة، بل يجب أن تستمد مصادر غناها في التنوع بأفكار علمية، لاكتساب مهارات التفكير العقلاني البعيد عن الخرافات والأساطير. ذلك لأن المستنبت لا ينبغي أن يضم نباتات جميلة وأزهار يانعة وورود فتانة فقط، بل كذلك نباتات وأعشاب طبية، لكي نحصل على ما هوممتع ومفيد في نفس الوقت. صحيح إن من سبقونا من شعراء وأدباء ساهموا في إرساء دعائم اللغة الألمانية، لكن ذلك لا يكفي بل يتعين الاهتمام كذلك بلغة العلوم
- لا ينبغي لنا أن ننتقد كثيرا أولئك الذين يكتبون بلغة ألمانية مليئة بمفردات ومصطلحات أجنبية إذا لم نتوفر على بديل لها، فالعديد من الكلمات الأجنبية أصبحت مألوفة لدينا، بينما الكلمات الألمانية أضحت غريبة عنا. لهذا فإنه لا ينبغي أن نكتفي بلوم هؤلاء الكتاب، بل إن الضرورة تقتضي أن يقبل بذلك، والأهم في الأمر هومسايرة العالم، ومن يريد معاكسته فسيصير مثله مثل من يريد مقاومة تيار جارف. فالعالم لا ينتظرنا حتى نستفيق ونلحق بالركب، بل ينبغي علينا أن نوجه قدراتنا مع المسار العام للعالم. غير أن هذا ليس عذرا لمن يستعمل كلمات أجنبية بدون مبرر، مادام أن اللغة الألمانية تحتوي على مقابلات لها
- إنني أسخر من أولئك الذين يستعملون لغة أجنبية في مؤلفاتهم، والذين يدعون بأنهم لم يجدوا مصطلحات أوكلمات مقابلة لها باللغة الأم للتعبير عما يريدون الإفصاح عنه. فهل كان من سبقوهم من الألمان عاجزين عن الكلام!؟
- إن أغلب الناس عندنا يتكلمون الألمانية برداءة وتلعثم، بحيث إنهم لا هم يتقنون لغتهم ولا هم يحسنون استعمال اللغة الفرنسية. وهناك من الأجانب من ينظر إلينا بعين الاستهزاء، ويرون أن ألمانيا في المنحدر، تخسر كل ما عندها من مقومات الوحدة والشجاعة والثقافة والفكر واللغة، بينما عندهم كل شيء يلمع من جديد. ويجب الاعتراف أن بلدنا في حاجة إلى أشخاص ذوي الفكر الثاقب والواثق من نفسه كما هومألوف لدى شعوب أخرى، التي يتقن أفرادها لغتهم الأم ويحافظون عليها مثل جوهرة، يتم العناية بها عبر صقلها بانتظام
- إن الكتاب الألمان استعملوا في السابق لغتهم الأم في مؤلفات أشك في أن نصل إلى مستواهم التعبيري الفصيح والواضح مثل مؤلفات يعقوب بوهم (القرن ١٦) ومؤلفات الصوفيين الألمان أوالكتاب المقدس الإنجيل الذي

أقرأه أكثر من كتاب الشاعر فيرجيل، الذي رغم ذلك يبقى أعز الكتب لدي...

- دون مواجهة المشاكل الكبرى لبلادنا ومعالجتها من جذورها، عبر التطرق لمسألة اللغةوتطويرها وتعميم استعمالها، فقد نكون كما يفعل البعض عند الاحتماء من خطر الفيضانات بالقيام ببناء سدود من حصى ورمال وطين عوض، جلب الصخور السميكة، للبرهنة على الجدية التي تتطلبها الوضعية الصعبة، حتى لا يقوى السد على مواجهة التيار الجارف، ويتسبب في مصائب وكوارث أكثر مما تسببها الفيضانات التي كان من المفروض تجنبها...وإذا بقينا على هذه الحال من المراوغة والتسويف وتجنبنا مواجهة الواقع بحزم وإصرار، فإننا سوف لن نعمل إلا على تعميق المشاكل وتأجيج الأزمات واستفحالها، وعندئذ سوف يكون قد فات الأوان !
- الأفضل أن تكونوا ألمانيين أصيلين على أن تكونوا مقلدين للفرنسيين. ماذا يمكن أن ننعت أولئك الذي يلهثون وراء ظل الأجنبي، يقلدونه ويتملقون إليه ؟ إذا كانت كتاباتنا وكلامنا وأفعالنا تتلخص في تقليد الآخر، فمعنى ذلك أننا نتمسك بالقشور ونتخلى عن الجذور، ونفعل كما يفعل الأطفال عند مشاهدتهم لمهرج يقوم بحركاته طيلة أسبوع، ليبدؤوا بعد ذلك بتقليده وينسون دروسهم وأنشطتهم، بحيث لا يكتسبون شخصيتهم، فلا يفرقون بين ذواتهم والآخر المهرج. الشيء المؤكد الذي قد ينتج عن كل هذا، هوأننا لن نستطيع في ظل هذا الوضع، أن نستعمل فكرنا بكامل الفاعلية والتفعيل والإقدام والتصميم، وقد لا نستطيع أن نتجادل ونصارح أنفسنا، ونهتم بالعلوم ونعمل على فهمها وتبنيها أونقدر على اكتساب البلاغة
- إذا بقي الوضع على حاله، فإن العقول النيرة سوف تدير ظهرها إلينا وتتجه نحوالخارج، بينما كل أمل في بعث روح الحماسة والتجديد في المجتمع سوف يخيب، وننسى أن نهتم بعزة الوطن ولن يبقى لنا سوى أن نتلاءم مع وضعية الخراب العام، ونفقد بالتالي كل فضيلة تغذي الأرواح.
- إن الشعوب التي يكون أفرادها متشبثين بالأمل والسعادة فإن حبهم لوطنهم سيزداد وشرف أمتهم سوف يعلى ويتقوى والفضيلة تنتشر والعقل يصقل ويضيء، وفي نفس الوقت فإن استعمال أفراد تلك الشعوب للغتهم الأم سوف يكون بسلاسة وجودة حتى تنتشر لتشمل جميع فئات المجتمع. من حسن الحظ، هناك بريق أمل لازال لدينا للنهوض بأوضاعنا اللغوية والثقافية، لكي تعم من جديد الفضيلة والشهامة الألمانية. يكفي أن نفتح أعيننا على الواقع ونعمل بجد ومثابرة على تصحيح أوضاعنا، ونغير أنفسنا بالصبر والمثابرة على العمل الجاد والانفتاح على الثقافات الأخرى دون انبهار أواستلاب، ونعمل على تطوير أفكارنا

ولغتنا وذلك هومفتاح الإصلاحات الشاملة والمستمرة الكفيلة بوضعنا على سكة النجاح.

٣،١ اقتراح إنشاء جمعية حماية الهوية الألمانية

واقترح لايبنيتز مشروع جمعية حماية الهوية الألمانية، التي تكون من أهدافها، كل ما من شأنه أن يعزز ويقوي الهوية الألمانية، وصقل المواهب والعقول عبر المعرفة والبلاغة والإبداع.

أما برنامج هذه الجمعية فيتلخص في العمل على إنتاج مؤلفات ذات قيمة علمية وفلسفية وأدبية وفنية باللغة الألمانية بأسلوب شيق ومفيد في نفس الوقت، حتى نعطي المثال لمؤلفينا ليكتبوا بجودة عالية ونحسن أذواق قراءنا لكي يستطيعوا التمييز بين المؤلفات الرائعة والمؤلفات الرديئة.

بهذه الطريقة يتم إعطاء نفس جديد لحياتنا الفكرية والثقافية والفنية والروحية، ونفتح أذهاننا ونعمل على نضج شبابنا، وتحفيز شجاعة الألمان، من خلال مراجعة نقدية لمؤلفات كتابنا حتى نزيل ما قد علق بها من شوائب، واستنباط أسلوب حياة ملائم لأوضاعنا وسياقنا الاجتماعي والتاريخي.

٤،١ تعليقات واستنتاجات

- يتبين مما سبق ذكره، وجود أوجه التشابه بين وضعية اللغة الألمانية في القرن السابع عشر والوضع اللغوي الراهن في البلدان العربية، مع العلم بأن هناك نقط اختلاف بين السياقين اللغويين والاجتماعيين التاريخيين الألماني والعربي على التوالي. فالوضعية السياسية والاجتماعية الألمانية حتى القرن السابع عشر، تميزت بوجود إمارات مختلفة، أي عدم وجود سلطة

مركزية وتميز المجال الثقافي واللغوي بمنافسة اللغة اللاتينية للغة الألمانية نظرا لكون الإنجيل كان مكتوبا باللغة اللاتينية قبل أن يتم ترجمته إلى اللغة الألمانية، بالإضافة إلى مزاحمة اللغة الفرنسية للغة الألمانية في الحقل الثقافي والفكري.

- بينما يتميز السياق الاجتماعي والثقافي العربي المعاصر، أولا بوجود دولة مركزية وإن كانت غير قوية بما يكفي، ثانيا إن النصوص الدينية ومن بينها القرآن كتبت باللغة العربية، الشيء الذي يعد مكسبا ثقافيا يمكن الاعتماد عليه والعمل الجاد على تطوير فهمنا له على ضوء التاريخ، في الاتجاه الذي يخدم المصلحة العامة، وإعادة بناء اللغة العربية وتحديثها.
- إن مشكلة اللغة العربية في العديد من البلدان العربية، هي في آخر المطاف أزمة ثقافية تاريخية تتجلى في ضعف مواكبة التطور الحاصل في العلوم المختلفة، بما فيها البحث العلمي في اللسانيات في البلدان العربية، وضعف الثقة والاعتزاز بركن من الأركان الأساسية في الهوية العربية، أي اللغة، بحيث نجد أن استعمالها لا يتم في الجودة المطلوبة، ولا يكون شاملا لجميع مناحي النشاط الاقتصادي والاجتماعي والعلمي، فهناك من ينظر للعربية كوسيلة وليس هدف في حد ذاته، بينما هي في الحقيقة الشرط الضروري لوجود الحياة الاجتماعية المتوازنة والسليمة، أوبعبارة أخرى هي العنصر الأساسي للتقارب والتناغم والتلاحم والتآلف بين أفراد المجتمع والتوافق فيما بينهم على حد أدنى من التعايش والتهادن، بدل التناحر والتنافر. غير أن المشكلة عندنا نحن العرب وكما عبر عن ذلك أحسن وأبلغ تعبير الشاعر العربي المعاصر أدونيس، في مؤلفه " الشعرية العربية" بقوله: "إن اللغة العربية التي ينظر إليها بوصفها جوهر الكائن العربي، تبدوفي الممارسة العملية ركاما من الألفاظ: هذا لا يتقنها وذاك يهجرها إلى لغة أخرى، عامية أوأجنبية. وذلك لا يعرف أن يستخدمها إبداعيا، فكأنها "مستودع" ضخم ينفر منه بشكل أوبآخر، كل من يدخل إليه ويغترف حاجته منه، فهناك مسافة بينها وبين من ينطق بها، وهذا يعني أن ما كان غاية يبدوالآن مجرد وسيلة ". وهنا نجد تطابقا في وجهة نظر أدونيس مع مفكرين آخرين، مثل هوبسباوم.إ الذي وضع اللغة المشتركة بين أفراد المجتمع على رأس الشروط الأساسية التي تجسد مفهوم الأمة – الدولة على أرض الواقع، وبالتالي هي ليست أداة للتواصل فقط. ونفس النظرة عبر عنها عالم السوسيولسانيات جون جوزيف، الذي لم يحصر وظائف اللغة في التواصل، وإن كان هذا ضروريا، على اعتبار استحالة أن يعيش البشر في عزلة فيما بينهم، بل أضاف إليها وظائف أخرى، منها أنها عنصر أساسي في تشكيل الهوية، أي أن لها وظيفة اجتماعية سياسية، ووظيفة اجتماعية ثقافية وجدانية، تخلق نوعا من روابط المؤانسة من خلال تبادل كلمات بسيطة، عبر عنها ب"الحدث الكلامي" من قبيل قول "كيف حالك ؟" أو" الجولطيف" ، ووظيفة معرفية تساعد الفرد على تصنيف الأشياء وبالتالي تخلق بنية فكرية على غرار المنطق في علوم الرياضيات. ومن جهته عبر وليام هومبولد بقوله: " إن عقل كل شعب يوجد في ارتباطه الوثيق بلغته ". وكذلك عالم السوسيولسانيات غيلينر الذي قال بأن" الأمة استفتاء عام يتم بشكل يومي داخل مجموعة بشرية، تريد أن تعيش معا، على أساس ذاكرة مشتركة ودين مشترك ولغة واحدة وكذلك إرادة نسيان مشترك للخلافات والاختلافات العرقية، التي ينظر إليها في هذه الحالة، باعتبارها مسألة ثانوية بالمقارنة مع الأولية التي تعطى للأمة والقومية والهوية واللغة المشتركة ". وقد أشار قاسم سارة، بدوره بضرورة تجاوز اللغة لوظيفة التواصل، لتشمل الجانب الاجتماعي السياسي، فهي، على حد تعبيره، "تشكل أمتن الروابط المساهمة في تكوين الأمة، وهي الأساس التي تجمعهم وتوحدهم مهما اختلفت جنسية من يتكلمها أوالديانة التي يدين بها، أوالمذاهب التي ينتمي إليها".

- هناك جانب آخر لوضعية اللغوية العربية، كون العديد منا يحصر وظيفتها على المجال الديني كأن دورها ينحصر في تلقين تعاليم الدين واستعمالها في كل ما يتعلق بمسائل الفقه والتشريعات فقط. وقد لخص هذا الجانب أحمد بهاء الدين﴿١٩٧٩﴾، في مقال له بعنوان "اللغة العربية: سياسة وحضارة واستراتيجية معا ": حيث قال :" بعد

الحرب العالمية الثانية، وضع الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة، وفضل الغرب أن تكون لغة هذا البلد هوالسواحيلية آملا في مزاحمة العربية من خلال إثارة نعرة الإقليمية. غير أن زعامة حركات التحرر في هذا البلد، من شباب مثقف، يعرف أن اللغة العربية كانت بالنسبة لهم أحد أقوى الروابط والوشائج وحافز الأمل في التحرر واسترداد شخصيتهم، ذلك أن العربية كانت أسهل وأقرب لشعوب الحزام الإسلامي في إفريقيا والذي يضم: السنغال، مالي، إفريقيا الوسطى، تشاد، غينيا، غانا، نيجيريا والصومال، لأنها هي لغة كتابهم المقدس، لغة عباداتهم وصلواتهم وأحيانا لغة جيرانهم الأقدمين وشركائهم في التجارة عبر طرق القوافل التي شقها العرب قديما. وقد حاولت بعض الدول العربية نشر اللغة العربية هناك، نظرا للأهمية الاستراتيجية لتلك البلدان الافريقية وتأثيرها على الأمن العربي ، على اعتبار أن الملايين التي تنفق في شراء السلع-حتى الأسلحة القديمة- لا تحقق الفوائد الإستراتيجية التي يحققها استخدام سلاح اللغة العربية، غير أنهم حصروا مواد تلقينها و تدريسها على الدين ونسوا الجوانب الأخرى العملية والتي يمكن أن تجلب الناس إليها، وهي تعليم الحرف المهنية وخاصة في الزراعة لتكون ملائمة لبيئة السكان الأفارقة وتلبي حاجاتهم اليومية وتطلعاتهم المعيشية . ومن هنا، نشأت فكرة تطوير الأزهر في مصر ليتخرج منه رجل الدين واللغة والعلم معا: كعلوم الطب، أوالهندسة الزراعية التي تنفع المجتمع".

ويمكن أن نلخص كل تلك الاستنتاجات في فكرة واحدة هي ضرورة تحديث شامل في المجتمعات العربية ، يبدأ بتحديث الفكر، ثم الحرص على مطابقة الممارسة والسلوكيات لقناعتنا الفكرية، بموازاة مع تعزيز وتقوية الدولة الوطنية والهوية والعمل على تطوير اللغة العربية في جوانب عديدة، منها ما يتعلق بالتركيب والصرافة والخط والمعجميات والقاموسيات، بالإضافة إلى التأليف بها في المجالات العلمية والأدبية والفنية المختلفة، وضمان استعمالها الجيد في جميع المحافل وعلى جميع الأصعدة وفي كل المناسبات الرسمية وغير الرسمية وردم الهوة بين ثقافة ولغة النخبة المثقفة، من جهة ولغة وثقافة باقي أفراد الشعب .

مراجع بيبليوغرافية

G.W.Leibniz(١٦٧٩). « Unvorgreifliche Gedanken، bettrefend die Ausubung und Verbesserung der deutschen Sprache ».Deutschland :Reclam.Ditzingen Verlag. Traduit (en ٢٠٠٠) en français sous le titre : l'harmonie des langues. Par Marc Crépon. Paris :

"théorie du language، théorie de l'apprentissage."(١٩٨٠) éd.du seuil

- Barbara Baumann، Brigitte Oberle(١٩٩٦)، Deutsche literatur in Epoche. Munchen : Max Hueber Verlag
- Ulrich Raulff، l'Histoire de la littérature Allemande de Heinz Schlaffer، in Kulturchronik ٢٠٠٢)٣)
- Uwe Porksen(٢٠٠٩)، Is German a mixed language ? The Role of Latin، French، and English in the History of the German Language ; Goethe– Institut e.V.، Fikrun wa Fann
- "التعريب" ، أبوسارة ١٩٨٩، دار الهجرة:بيروت
- مقال الدكتور الفاسي الفهري، "ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب" . ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية. فاس ٢٢,١١,٢٠٠٧
- أدونيس ﴿١٩٨٥﴾ "الشعرية العربية".دار الآداب:بيروت
- ندوة "السياسة اللغوية" بالمغرب. القنيطرة ١٤ يونيو٢٠٠٩
- جون جوزيف، ﴿٢٠٠٧﴾"اللغة والهوية: قومية.إثنية. دينية"
- أحمد بهاء الدين﴿١٩٧٩﴾، "اللغة العربية: سياسة وحضارة واستراتيجية معا".منشور في كتاب " ألوان من الأدب المصري الحديث" عن دار كتابي. مصر: القاهرة
- عصور الأدب الألماني. عالم المعرفة. عدد ٢٧٨. السنة ٢٠٠٢
- أوفه بوركسن ،هل اللغة الألمانية خليط لغات؟ تأثير اللاتينية والفرنسية والإنجليزية على اللغة الألمانية. معهد غوته ومجلة فكر وفن. يونيو٢٠٠٩
- محمد علي برادة، مداخلة في اليوم الدراسي ١٨ مارس ٢٠٠٤"اللغة العربية لغة العلم والتقانة" معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. الرباط